عالم مواز

أحمد فؤاد

وَجْـــس

قصة قصيرة

عالم مواز
منصة ثقافية لإثراء المحتوى العربي
www.3alammowazy.com

وَجْـسٌ
قصة قصيرة

بقلم / أحمد فؤاد

إهداء

إلى صديق العُمر حامل الذكريات الأمين...

لماذا لم نخبرهم أبدًا بالحقيقة؟
بأن الحقيقة ليست حقيقة.
وبأن أحلامنا لم تكُن يومًا قابلة للتحقّق!

وَجْـس

لم تكن المرة الأولى التي يسمع فيها "وليد" اسمه يتردد همسًا في أذنيّه. إلا أنه شعر برجفة تسري في جسده فور تسللها إلى مسامعه هذه الليلة. كان صوتًا أنثويًا ناعمًا؛ تمامًا مثلما أتاه في كل مرة منذ أن بدأ في الانتباه إليه. لا يتذكر بالضبط متى كانت المرة الأولى التي انتبه فيها إلى هذا الصوت، ذلك لأنه كان مُعتادًا على سماع الكثير من الأصوات في رأسه بسبب مغامراته العديدة التي يخوضها في خياله. غير أن هذا الصوت كان مُختلفًا، فلم يكن صوتًا لأحد الشخصيات الوهمية التي تُشاركه مغامراته التي لا تنتهي في رأسه.

في البداية ظن أنه مجرد صوت آتٍ من شقة أحد الجيران، لكنه تذكّر أن لا أحد من جيرانه يحمل نفس اسمه. ثم أقنع نفسه بأن مصدره لا بد من أن يكون مذياعًا أو تلفازاً لديهم. لكن مع تكرار سماعه للصوت الهامس باسمه في أوقات مُختلفة أسقط هذا الاحتمال من حساباته.

كان أكثر ما يثير ذعره أنه وعلى الرغم من أن الصوت كان آتيًا من غُرف النوم عبر الممر الطويل المؤدي إليها، إلا أنه يشعر بالهمس بكل وضوح في أذنيه، بل يكاد يشعر باهتزاز الصوت على صيوانهما، وارتجاف الشُعيرات على حافتهما! بدا له الهمس ناعمًا أملسًا كملمس ثُعبان يفحّ في خُبث. انتابته قشعريرة لم يجرؤ معها على الالتفات إلى الخلف أو حتى مُطالعة صورته على زجاج النافذة التي أمامه.

فكّر أن يتصّل بأحد أصدقائه، لكنه لم يعثر في ذاكرته على الكثير ممن يُمكنه طلب مساعدته. تذكّر سُخرية زميله "كامل"، وتهكّم "رامي"، واستخفاف "عمرو" عندما أخبر كُل واحد فيهم على حده؛ عن الصوت الذي يناديه عندما يكون وحده في المنزل. اتهموه جميعًا بالجنون بسبب القصص الخيالية التي يقرأها والأفلام التي يشاهدها. وعلى الرغم من إحباطه بسبب عدم تصديقهم له أو حتى التظاهر بذلك، إلا أنه وبسبب إجماعهم على اتهامه؛ شكّ في أن يكونوا على حق، ارتاب في أن يكون خياله هو ما يخلق مثل تلك الأصوات في رأسه. لكن شيئًا ما في داخله لم يكن يُصدّق هذا الشكّ.

قرّر أن يتصل بأبيه في مكتبه الذي يعمل به حتى وقت مُتأخّر؛ كي يخبره، بيد أنه خشي أن يواجه غضبه. لا بُد أنه سيشُكّ أنها إحدى محاولاته للهروب من المذاكرة.

طرد تلك الأفكار من عقله وأمسك الكتاب الذي أمامه في محاولة للتركيز؛ مُسترجعًا تحذيرات أمه بأن كل التشتّت الذي يطارده أثناء استذكاره لدروسه هي محاولات من الشيطان كي يسخر منه عند رسوبه في اختبارات الفصل الدراسي الأول المُقدّر إقامتها بعد أسبوع.

غرق في بحر الكتاب خلال دقائق، حتى أنه لم ينتبه إلى الصمت الذي أحاط به تمامًا. انتفض عندما دوّى صوت جرس الباب حتى كاد يقع من كُرسيه، قبل أن يتماسك ليفتح الباب.

باغتته رؤية زميله "يوسف" ولم يدر "وليد" كيف نسي تمامًا أنه طلب منه منذ بضعة أيام أن يشرح له أحد الدروس التي يجد صعوبة في فهمها. وعلى الرغم من أنه ابتهج في البداية عند رؤية جاره من البناية المُجاورة، إلا أنه اغتمّ عندما تذكّر أنه لا يستطيع أن يصارحه بما يواجهه. ذلك لأن "يوسف" من الأشخاص الذين لا يكتمون سرًا... سيعرف جميع الجيران يوم غد، وسيكون أضحوكة الشارع. هكذا قرر ألا يخبره بأي شيء.

بعد دقائق من الاستذكار والشرح؛ تناهى إلى سمع "وليد" الصوت الأنثوي الهامس، كانت هذه المرة الأولى التي يسمع فيها الصوت أثناء وجوده مع شخص آخر. تجاهل الصوت تمامًا مُحتميًا في وجود "يوسف".

لكن تَجمُّد "يوسف" المُفاجئ ملأه بالتوتر. راقب "وليد" نظرات زميله المُتسائلة. كسر "يوسف" السكون "أسمعت؟" تظاهر "وليد" بالحيرة "سمعت ماذا؟" أشاح "يوسف" بوجهه "لا شيء... دعنا نُكمل". كاد "وليد" أن يعترف له أنه يكذب، لكن خوفه من سُخرية متوقعة من زميله دفعته لأن يستمر في ادعائه.

بعد دقيقة واحدة رمى "يوسف" القلم على الطاولة واعتدل في جلسته واقفًا وهو ينظر إلى الممر المؤدي إلى غُرف النوم قائلًا "أهناك أحد بالداخل؟". هزّ "وليد" رأسه نافيًا. للحظة خُيّل لـ"وليد" أنه رأى ارتباكًا على وجه صديقه، قبل أن يختفي في لمح البصر. سمعه يقول في استنكار "إذن من يُنادي على اسمي في الداخل؟"

لم يستطع "وليد" كتمان ارتياعه هذه المرة. الصوت يُنادي كل شخص باسمه! اتسعت عيناه فعاجله "يوسف": "أنت سمعت ذلك أيضًا. أليس كذلك؟" أذعن "وليد" وهو يومئ برأسه قبل أن يحكي له عن كُل ما يعرفه عن الصوت.

قبل أن يشعر "وليد" بالارتياح كون هناك من صار يشاركه سِرّه، باغته "يوسف"

"ما هذه السخافة؟ دعنا نذهب إلى الغرف بالداخل ونرى من الذي يعبث معنا".

مُحتميًا بوجود "يوسف"، اصطحبه "وليد" إلى الممر. فتح جميع الأنوار لكنها لم تنجح في أن تُبدّد ظُلمة خوفه الساكن داخله. اقتربا من الغُرفة الأولى في الممر - غُرفة نومه- بتؤدة. دخلا من بابها المفتوح. أضاء مصباح الغُرفة. تفحصا أرجاءها. لم يجدا شيئًا يستحق الاهتمام. همّ "يوسف" بالكلام قبل أن يداهمها صوت حركة قادم من الغُرفة التي في آخر الممر، تلاقت عيناهما للحظة قبل أن يهتف "يوسف" "لص! لص!" خلعا أحذيتهما وهرعا إلى الغُرفة. أضاءا المصابيح مُتأهبين للقبض على أي شخص بالداخل مُتسلحين بأحذيتهما! لكن الغُرفة كانت خالية من البشر!

جاء صوت "يوسف" مُتلعثماً "أنا مُتأكد أنني سمعت الصوت آتيًا من هُنا". رد "وليد" في خفوت "وأنا أيضًا". شعر "وليد" بارتباك زميله لكنه لم يشأ أن يُخاطر ويخبره بشكوكه التي تساوره. شكوكه التي كان مصدرها اللوحة المُعلّقة على صدر الحائط الذي يقفا أمامه فوق فراش أبَويّه.

انتبه "وليد" إلى شرود "يوسف" في الصورة، رآه يتأمّل وجه المرأة المرسومة بالزيت بفرشاة فنّان مُبدع. لطالما أعجبت الصورة "وليد". هذا الوجه الفاتن لامرأة في الثلاثينيات من عُمرها، ذات عينيّن واسعتيّن بُنيّتيّن، شعرها بُنيّ داكن مُسترسل، تُغطّيه بقُبعة فرنسية سوداء غاية في الأناقة. كان من الصعب -مع التفاصيل المرسومة بشكل مُدهش- التمييز إن كانت الصورة مرسومة أم أنها مطبوعة. لهذا كانت دائمًا تبثّ رهبة غير مفهومة في نفسه. رُبّما لأن الوجه يبدو له حقيقيًا بشكل ما. بُمجرد النظر إلى عينيّها كان يشعر بنظراتها حيّة تسري داخله. ابتسامتها غامضة مُحيّرة. تبدو مُريحة بشكل زائد. ودودة أكثر من اللازم. مُرحّبة أكثر من المُعتاد. نظراتها تُناجيه فيسمع لها صوتًا في أعماقه! يشعر بروحه تتسلل منه مُلبيّة نداء خفيًا للانضمام إلى أثير الصورة!

"من هذه المرأة؟" انتفض عندما سمع سؤال "يوسف". أخبره بأن اللوحة قد اشتراها والده منذ شهر من أحد محلات الأنتيكات "الأثريات القديمة"، لكن "وليد" لم يخبره بأن أمه قد حاولت إزالة الصورة من الحائط بعد أسبوع تقريبًا من يوم شرائها، وأن أبيه قد جُنّ جنونه حينما رآها تقوم بذلك. وتجاهل ادعائها بأنها تشعر بطاقة سلبية في الغُرفة منذ اليوم الذي عُلّقت فيه اللوحة. كانت هذه هي المرة الأخيرة التي رأى فيها أمه قبل وفاتها. لم يحك له أيضًا أنه لم ير والديه يتشاجران أبدًا قبل دخول هذه الصورة إلى المنزل. وتذكّر كم كانا يبدوان مُتحابّين خارج حدود هذه الغُرفة!

سأل "وليد": "أتظن أننا توهّمنا الصوت؟" تجاهله "يوسف" وبدا أنه لم يسمع سؤاله مُتمتمًا في شرود "هذه الصورة غير مريحة". استوضح "وليد": "لماذا قلت ذلك؟". لم يأته ردًا... انتبه إلى أن زميله لا يُحرّك عيناه عن اللوحة. يقف مُتسمّرًا. صدره يعلو ويهبط في سرعة ملحوظة. فوضع كفه على كتفه ليهزّه. أزاح "يوسف" كفّ "وليد" في عُنف وبدا وكأنه تفاجأ بوجوده!

هتف "وليد" في دهشة "ما بك؟". تحرّك "يوسف" ناحية السرير، ثم وقف أعلاه قائلًا: "من الأفضل أن نزيل هذه اللوحة من مكانها"

صرخ "وليد" ينهره "هذا ليس من شأنك أيها الأحمق!". لكن "يوسف" لم يأبه لصراخه ووضع يديّه على إطار اللوحة شارعًا بإزالتها.

انقضّ عليه "وليد" يدفعه عن اللوحة "أبي سيقتلني لو أزلت هذه الصورة من مكانها". تمسّك "يوسف" بإحدى يديه بإطار اللوحة، وبيده الأخرى دفع صديقه بعيدًا هو يصيح "يجب أن نتخلص منها". وقبل أن يبدأ في إزالة اللوحة؛ توقف فجأة وهو يتلفّت حوله في هلع. انتبه "وليد" إلى عينيّ المرأة في اللوحة. خُيّل له أنها تشع بريقًا ما. بريقًا ظنّ أنه رآه من قبل. باغته صوت أنثوي. تَمَلّكه في ثوانٍ. ذُهل مما سمعه. لكنه قدّر أنه توهّم كل ذلك. نظر إلى "يوسف" الذي يُغطي أذنيّه بكفيّه كأنه يحميهما من اقتحام مُفاجئ! وعندما التقت نظراتهما، وبدون اتفاق هرعا فارين من الغُرفة، ولم يتوقفا إلا بعد أن خرجا من المنزل مُغلقين الباب خلفهما بكل قوة.

أخذا يلهثان أمام باب الشقة حتى هدأت أنفاسهما. انتبها إلى أنهما خرجا دون أحذيتهما. نظرا إلى أقدامهما العارية، فانفجرا ضاحكين. سخر "يوسف": "انظر كيف هو حالنا! لقد خَدَعَنا خوفنا وها نحن كالبلهاء عاريي القدمين." قهقه "وليد": "ليس معي المُفتاح... ستضطر إلى العودة دون حذاء وأنا سأنتظر والدي أمام الباب."

لكن ضحكاتهما تجمّدت على شفاههما وهما يستمعان إلى صوت خطوات قادمة من داخل المنزل. خطوات حذاء نسائي بكعبٍ عالٍ. اعترتهما رجفة شديدة مع اقتراب الخطوات من الباب. وبدون تفكير هرب كل واحد منهما. هرب "وليد" تجاه الدرج إلى الطابق السفلي بينما صعد "يوسف" إلى الطابق الأعلى.

تسمّر "وليد" وهو يستمع إلى باب الشقة وهو يُفتح. شعر بمجهود ضخم وهو يحاول التقاط أنفاسه. هزمه الفضول فألقى نظرة إلى أعلى، وهو يختبئ وراء

إفريز الدرج الإسمنتي. اتسعت عيناه في رُعب وهو يشاهد امرأة بارعة الجمال بفستان أسود إلى تحت الرُكبة. ترتدي قُبعة سوداء أنيقة. ومن مكانه تفحّص ملامحها في فزع. إنها نفس المرأة التي في اللوحة. حاول أن يصرخ إلا أنه شعر بجسده مشلول تمامًا. راقب المرأة التي وقفت للحظات لتحسم أمرها، قبل أن تتجه إلى الطابق الأعلى بعد أن أغلقت الباب خلفها.

لمدة نصف ساعة كاملة؛ ظل "وليد" ينظر إلى باب الشقة، متقوقعًا في مكانه غير قادر على الحركة، وكأنه ينتظر في استسلام عودة المرأة. لم يتحرّر من جموده إلا عندما سمع صوت والده يهتف باسمه. وقف مُرتبكًا يخبره أنه كان في انتظاره بعد أن انغلق الباب في غفلة منه هو و"يوسف" عندما كانا يقفان أمام باب الشقة. نظر أبوه إلى وجهه الشاحب في ارتياب، قبل أن يفتح الباب ويدخلا معًا إلى المنزل.

سأله الأب "ماذا حدث؟ لماذا وجهك شاحب هكذا؟" تردّد "وليد" قبل أن يعترف "كان هناك صوت يأتي من الغُرفة. دخلت أنا و"يوسف" للتحقق..." أمسك الأب ذراعيّ ابنه بقوة وهو يضغط عليهما بغيظ مكبوت، قبل أن ينطلق مُسرعًا إلى الغُرفة القابعة في آخر الممر. بمجرد أن دخلها... أدرك كُل شيء... أحذية الشابيّن المُلقاة... آثار وقوفهما على السرير... بقايا شجارهما... وضع اللوحة المائل.

هتف في "وليد" فأتاه مُطرقًا برأسه. سأله بصوت هادئ: "يوسف من حرّك اللوحة أليس كذلك؟" حرّك "وليد" رأسه موافقًا في صمت. فأردف والده: "هل تَحَدّثَت إليك؟" أغمض الولد عينيه بقوة وهو يومئ مُرتجفًا. ربّت الأب على كتف ابنه: "لا بأس... هي قد أخبرتك لسبب ما. أنت الآن تعرف كُل شيء." ثم أخرج من جيب قميصه دفترًا صغيرًا وقلمًا، تصفّح أوراقه قبل أن يتوقّف عند أحد الصفحات. "من الجيّد أننا في موسم اختبارات". كتب بضعة حروف قبل أن يردف: "سيتَوجّب عليك إحضار أحد أصدقائك الأسبوع القادم".

أعاد الدفتر إلى جيبه ثم خرج. نظر "وليد" نظرة أخيرة إلى اللوحة. كانت المرأة لا تزال مُبتسمة، لكنه لاحظ أن ابتسامتها قد ازدادت اتساعًا هذه المرة!

تَـــمَّـــت

أحمد فؤاد -9 تموز يوليو 2021

في انتظار تقييمكم للقصة على موقع Goodreads على الرابط التالي

https://www.goodreads.com/book/show/58692479

للتواصل:

منصة تويتر:https://twitter.com/ahmoda

منصة إنستغرام: https://www.instagram.com/ahmad_fouad79

منصة فيسبوك: https://www.facebook.com/ahmoda79